الفصل الثالث

طلاق الملكة إليانور من الملك لويس السابع وأهم نتائجه

- عودة الملك لويس وزوجته إليانور إلى فرنسا والمخاطر التي واجهتهما
- زيارة لويس وإليانور للبابا إيوجين الثالث وأهم نتائجها
- الأوضاع في فرنسا بعد عودة الملك لويس وزوجته إليها
- عودة إليانور إلى مقاطعاتها بالجنوب بعد طلاقها من الملك لويس السابع

الفصل الثالث
طلاق الملكة إليانور من الملك لويس السابع
وعودتها إلى إقطاعتها بالجنوب

عودة الملك لويس وزوجته إليانور إلى فرنسا والمخطر التي واجهتهما :

استمر الجفاء الذي سار بين إليانور ولويس منذ وجودهم في أنطاكية ولم ينته وظلت علاقتهم متوترة، مما جعل لويس يكتب إلى الأب سوجير Suger يعلمه بما وصل إليه الحال في علاقته مع إليانور وبرغبته في طلاقها بعد عودته إلى فرنسا.

شعر الأب سوجير بالقلق وأرسل إلى الملك لويس يحذره بأنه سوف يخسر ميراث إليانور إذا طلقها وإذا تزوجت بعده مرة ثانية وينصحه بضرورة تأجيل مشاكله مع زوجته حتى يعود إلى فرنسا.

كما ناشد سوجير الملك لويس بسرعة العودة إلى فرنسا لأن البلاد تعج بالفوضى وفي حاجة إليه(1)، وبسبب إلحاحه غادر لويس بعد احتفاله بعيد الفصح مملكة بيت المقدس في أوائل صيف عام 1149م عائدا إلى فرنسا على متن سفينتين صقليتين، في وقت كانت فيه العلاقة ما زالت متوترة بين إليانور وزوجها مما جعلها تبحر هي ورفيقاتها من النساء في سفينة خاصة بهن بينما أبحر لويس مع مستشاره تيري غاليران على متن سفينة أخرى(2).

إن إصرار إليانور على أن تستقل سفينة خاصة بها وتبحر مع رفيقاتها منفصلة عن زوجها يكشف مدى رغبة إليانور في تفادي رؤية زوجها خلال الرحلة البحرية بالإضافة إلى رغبتها في عدم مرافقة الرجال الذين اعتبرتهم أعداء(3). وبما أن كلا من لويس وإليانور سافرا على متن سفينة صقلية وقد انضمت السفينتان إلى أسطول نورماني عند سواحل البلبونيز ومن ثم فقد هاجمت السفن البحرية البيزنطية الأسطول النورماني بالقرب من رأس مالي Malea لكن لويس سارع برفع العلم الفرنسي على سفينته وبذلك تابع سيره بسلام(4)، أما السفينة التي كانت تقل إليانور ورفيقاتها وأمتعتهم فقد سقطت في قبضة البيزنطيين ولم يوافق الإمبراطور مانويل على إعادة الأمتعة وبعض أتباع لويس إلى فرنسا إلا بعد عدة أشهر. أما الملكة إليانور فقد أطلق سراحها بسرعة حيث صادف وجود أسطول تابع لصقلية في المنطقة جاء بسرعة(5) لإنقاذه وباغت السفن البيزنطية ثم واصلت إليانور ولويس رحلتهما البحرية إلى إيطاليا(6).

لم تنته مشاكل إليانور ولويس في البحر بعد ذلك، فقد حدثت عاصفة قوية أدت إلى فصل السفينتين عن بعضهما، فضل كل من إليانور ولويس مكان وجود كلا منهما فقد ظل لويس مفقودا في البحر حتى استطاع أخيرا الوصول إلى كالابريا Calabria في التاسع والعشرين من يوليو

(1) Alison, Eleanor, P. 69 Meadia, Eleanor, P. 118.
(2) Meade, Eleanor, P. 120. Owen, Eleanor, P. 28.
(3) Meade, Eleanor, P. 120 Owen, Eleanor, P. 28.
(4) Grousset, Histoire, Tom, 2, P. 269.
(5) Perry, The second, P. 511.
(6) Meade, Eleanor, P. 121.

عام 1149م ولم يستطع الوصول إلى مكان إليانور ومعرفة إن كانت على قيد الحياة أم لا. ظل مكان إليانور لمدة شهرين مجهولا للويس حتى جاءت رسل من قبل روجر الثاني ملك صقلية (1126-1154م) يخبروه بأن سفينة الملكة إليانور قد اتجهت بسبب العاصفة إلى الشواطئ الأفريقية على البحر المتوسط، وقد نجح ملك صقلية في العثور عليها وإعادتها إلى بالرمو Palerom في صقلية. كانت إليانور مريضة وتعاني من التعب عند نزولها من السفينة وكان من الضروري أن ترتاح لفترة قصيرة، قبل أن تستأنف رحلتها إلى كالابريا في إيطاليا ولذلك فقد أرسل الملك روجر الرسل إلى لويس ليطمئنوه على إليانور عندما علم لويس بمرض إليانور قلق عليها بشدة وانتظر وصولها لمدة ثلاثة أسابيع وعندما وصلت أبحرا أخيرا إلى كالابريا بعد أن تعافت تماما وشعر لويس بالراحة.

التقى لويس السابع وإليانور بالملك روجر الثاني في بوتنزا Potenza حيث اقترح روجر على لويس القيام بحملة صليبية للانتقام من بيزنطة وقد وافق لويس على الاقتراح، ولكن كونراد الثالث رفض بسبب عدائه لروجر وتحالفه مع مانويل كومنين ضد روجر ملك صقلية[1].

أثناء وجود إليانور في كالابريا، علمت بمقتل عمها ريموند دي بواتييه حاكم أنطاكية[2] لذلك شعرت بالحزن الشديد على فقدانه، وزادت كراهيتها لزوجها لويس الذي رفض مساعدة ريموند ضد نور الدين محمود مما أدى إلى قتله لذلك فقد صبت غضبها على لويس واعتبرته ملكا عاجزا قاسيا.

لم تكن الكراهية والعداء الذي تشعر به إليانور تجاه زوجها لويس خلال الشهور الثمانية عشر الماضية منذ اختطافها من أنطاكية من قبل الفرسان المسلحين تساوي شيئا في حجم الكراهية والبغض الذي شعرت به عندما علمت بمقتل عمها ريموند مما جعلها تصمم على رأيها على الطلاق[3].

زيارة لويس وإليانور للبابا أيوجين الثالث وأهم نتائجها :

عندما تأكد لويس من إصرار إليانور على الطلاق رأى ضرورة زيارة البابا إيوجين الثالث لمعرفة رأيه لأن القرار الأخير الشرعي في هذا الموضوع في يد البابا وحده لذلك بدأت إليانور ولويس رحلتهما إلى جنوب روما لمقابلة البابا وكان في صحبتهما مرافقين من قبل روجر ملك صقلية وفي الطريق شعرت إليانور بالتعب والمرض الشديد وذلك بعد فترة قصيرة من مغادرتهم مدينة بوتنزا وذلك لحزنها الشديد على عمها كان لويس مدركا تماما لحالة إليانور الصحية الغير مستقرة ولذلك بمجرد وصولهم إلى مونت كاسينو Monte casino في الرابع من أكتوبر عام 1149م/544هـ إنهارت إليانور ولم تعد قادرة على استكمال الرحلة مما اضطر لويس إلى التوقف في دير هذه المدينة حتى تتعافى ويبدو أن مرض إليانور يرجع إلى أسباب عديدة بالإضافة إلى الاضطراب النفسي الذي كان ينتابها بسبب رفضها لاستكمال حياتها معه، وكذلك الإرهاق الشديد الذي عانت منه بعد انحراف سفينتها في البحر كل ذلك أضعف جسدها رغم أنها كانت تتمتع بصحة

(1) Meade, Eleanor, PP. 121 – 122, Kelly, Eleanor, P. 70. Alison, Eleanor, PP. 70-71.

(2) كان ريموند قد قتل أثناء حصار نور الدين محمود لقلعة إنب على الضفة الشرقية لنهر العاصي في 29 من يونيو عام 1149م، وكان فرح المسلمين بمقتل ريموند كبير لدرجة أنهم أرسلوا رأسه وذراعه الأيمن إلى نور الدين وقام نور الدين بإرسالهما في صندوق من الفضة إلى الخليفة العباسي في بغداد وذلك للاحتفال = = بمقتله وكبرهان على أن أشد أعداء الله وأكبر عاتية من عتاة الفرنجة قد تم قتله. انظر: سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص638.

Meade, Eleanor, P. 122. Alsion, Eleanor, P. 71.

(3) Meade, Eleanor, PP. 122 – 123. Alison, Eleanor, P. 71.

جيدة طوال حياتها[1]. لكن الأخبار التي وصلتها عن مقتل عمها كان السبب الرئيسي في سوء حالتها الصحية إضافة إلى الأسباب سالفة الذكر، كل ذلك نتج عنه ضعف نفسي وجسدي عانت منه إليانور ورغم كل هذه المعاناة المرضية إلا أن إصرارها على تحديد مستقبلها وضرورة تخلصها من لويس جعلها قادرة على استكمال الرحلة إلى البابا بعد ثلاثة أيام فقط من الراحة. وفي التاسع من أكتوبر عام 1149م وصلت إليانور ولويس إلى توسكولوم في جنوب إيطاليا وقد استقبلهم البابا إيوجين بالترحاب والاحترام كما لو كان يرحب بملاك السيد المسيح وليس رجلا فاشلا مثل لويس السابع.

لقد أدرك البابا إيوجين أن لويس يعاني من الخزي والعار بعد فشل حملته على الشرق ولذلك تصرف البابا بلباقة وذكاء ولم يوجه أي لوم أو توبيخ إلى الملك. أدرك البابا منذ البداية أن زيارة هذا الملك الذي كانت علاقته مع البابوية دائما مضطربة وراءها أسباب خفية، خاصة وأن إليانور هي الأخرى كانت خارجة عن طاعة الكنيسة ولا تلتزم بمبادئها، لذلك فلم يكن هدفها مناقشة أحداث الحملة الصليبية ولا سبب فشلها، وإنما تحكيمه في قضية طلاقها.

اجتمع لويس وإليانور مع البابا إيوجين اجتماعات منفردة حتى يشيرح كل منهما مشاكله للبابا بحرية[2].

ورغم أن إليانور عادة لم تكن أي احترام أو توقير للكنيسة ورجالها إلا أنها وجدت أثناء مقابلتها للبابا إيوجين أنها مضطرة لإخفاء مشاعرها الخاصة حول كراهيتها لرجال الدين حتى تحوز على إعجاب البابا وتكسب تأييده. كان لدى إليانور أسباب كثيرة وراء طلبها للطلاق من أهمها تجاهل لويس لها عاطفيا وبروده معها، لكنها أثناء اجتماعها بالبابا ركزت في طلبها للطلاق على الأسباب التي اعتقدت أنها أكثر شرعية حتى تكسب تأييد وعطف البابا والتي قد تجعله يوافق على طلبها للطلاق.

ركزت إليانور على سبب واحد وهو أن زواجها من لويس باطل ومحرم شرعا بسبب وجود قرابة رحم بينهما وأن ذلك الزواج أغضب الله بدليل أن الله لم يرزقها خلال سنوات زواجها التي بلغت إثنتى عشرة عام سوى طفلة واحدة وحرمها من إنجاب الذكر الوريث للعرش.

ولو نظرنا إلى واقع الأمر فإن إليانور شخصيا لا يهمها حالة قرابة الرحم ولا المبادئ الأخلاقية، لكنها ركزت عليها لأنها ورقة رابحة ولم تجد عذرا أفضل منه فكانت تؤمن بفلسفة إيجاد الذرائع ولذلك اعتمدت على هذا السبب حتى تثير إعجاب البابا وتحظى بموافقته وتأييده للطلاق[3].

خلال اجتماع لويس مع البابا إيوجين شرح له مشاكله مع إليانور في أنطاكية وسلوكها المشين وجفائها واستيائها منه، وميلها للهو والمرح الصاخب واستهتارها وهواجسه حول عدم شرعية زواجهما، لكنه في نفس الوقت أكد له بأنه حريص على الاستمرار معها وأنه يحبها بشدة ويريد البقاء معها.

أثار تعلق لويس بزوجته إليانور إعجاب البابا الذي رأى أن لويس متعلق بالملكة بشكل كبير وعلى نحو طفولي جدا.

بعد أن استمع البابا لشكوى كل من إليانور ولويس وجد أن إليانور تتكئ على قضية قرابة الرحم لذلك رأى من الضروري إزاحة هذا الخوف من قلبها فأفتى لها بشرعية زواجهما وأنكر عليها طلب الطلاق، وأمرها ألا تطلبه مطلقا تحت أي سبب.

---

(1) Meade, Eleanor, P. 123. Alison, Eleanor, P. 71.
(2) Meade, Eleanor, P. 124. Kelly, Eleanor, P. 70. Alison, Eleanor, P. 71.
(3) Meade, Eleanor, PP. 124 – 125. Kelly, Eleanor, P. 71. Alison, Eleanor, P. 71.

أسعد قرار البابا إيوجين الملك لويس كثيرا لكنه في نفس الوقت روع إليانور بشدة[1].

ولم يكتف إيوجين بتأكيد شرعية زواج إليانور ولويس بل إنه حاول الإصلاح بينهما فقد لاحظ توتر الحب والعاطفة لذلك استخدم كل الوسائل الممكنة حتى يعيد الحب الضائع بينهما وأعد سريرا خاصا وزينه بالستائر الثمينة الخاصة بغرفته وضغط عليهما حتى يقضيا الليل معا.

وجدت إليانور نفسها مضطرة للاستجابة لمحاولة البابا التوفيق بينهما واضطرت إلى قضاء الليلة مع لويس كما أمرها البابا ونتج عن ذلك حدوث حمل لإليانور أنجبت بعده إبنتها الثانية التي أطلقت عليها اسم ألس Alice.

في الصباح التالي غادر لويس وإليانور توسكولوم بعد أن باركهم البابا وأمطرهم بالهدايا وأرسل معهم مرافقين من الكرادلة.

وإذا كان كل من إليانور ولويس قد وصلا إلى توسكولوم وهم في خصومة شديدة فقد تركوها وهم في خصومة أشد، وإن كان لويس قد حاول من ناحيته إصلاح نفسه وتصرفاته مع إليانور.

توجه لويس وإليانور إلى فرنسا حيث بدأ رحلة شاقة فعبرا جبال الألب وقبل أن يصلوا إلى باريس بعدة أيام قدم إليهم الأب سوجير لمقابلة الملك لويس وأخباره بالمؤامرات التى دبرت ضده أثناء غيابه في الشرق[2].

الأوضاع في فرنسا بعد عودة الملك لويس وزوجته إليها :

وصل الملك لويس وزوجته الملكة إليانور إلى فرنسا في أوائل شهر فبراير عام 1150م/545 هـ حيث عادت مرة أخرى إلى قصر سيتي الذي كان بالنسبة لها مثل زنزانة محكمة ليس هناك أمل للهروب. ومنذ لحظة وصولهم، ولمدة شهور بعدئذ كان هذا القصر بؤرة للتهم والإشاعات حتى أفسد الاتهامات المضادة والتمتمات حول علاقة إليانور الغير شرعية بعمها ريموند دي بواتييه حاكم أنطاكية جميع مظاهر الاحتفال التي أقاموها ابتهاجا بعودتهم من الحملة الصليبية. كانت هناك أسئلة كثيرة لدى الفرنسيين الذين لم يشاركوا في الحملة والتي تتطلب الإجابة عليها حول أسباب فشل الحملة الصليبية، وبرغم أن الفرنسيين أعضاء الحملة أرجعوا أسباب فشلهم إلى خيانة الإمبراطور البيزنطي مانويل كومتين الذي عقد هدنة مع السلاجقة كما نسبوا أيضا فشلهم إلى أمراء بيت المقدس الذين قبلوا الرشوة من حاكم مدينة دمشق معين الدين أنر مما أدى إلى فشل الحصار عليها[3].

برغم كل ذلك فإن الجزء الأكبر من اللوم والنقد تركز على إليانور بسبب أمتعتها الكثيرة التي عاقت تقدمهم وعلى عمها ريموند دي بواتييه وأيضا إلى جيفري دي رانكون الذي لم يلتزم بأوامر الملك لويس له أثناء تقدمهم في آسيا الصغرى[4].

(1) Meade, Eleanor, PP. 124 – 125. Kelly, Eleanor, P. 71. Alison, Eleanor, P. 71.
(2) Meade, Eleanor, P. 126 . Kelly, Eleanor, P. 71. Alison, Eleanor, PP. 71—72. Owen, Eleanor, P. 28.
(3) William of Newburgh, History of English affairs, P. 129. Meade, Eleanor, P. 127, Kelly, Eleanor, P. 73.
(4) Gervas, F.A. Histoire de suger, 3 vol. (Paris, 1721), vol. 3. P. 349.

بعد عودة إليانور إلى قصر سيتي مرة أخرى سيطرت عليها حالة شديدة من الكآبة والحزن الذي كانت تعاني منه من قبل خاصة وأنها علمت أنها أصبحت حاملا للمرة الثانية، وهذا الحمل سوف يؤثر بالتأكيد على المستقبل الذي كانت تنتظره وتتطلع إليه لكن بعد هذا الحمل لن يكون هناك طلاق، ولا إمكانية لعودتها إلى بواتييه فلا شئ يمكن أن تتطلع إليه سوى أن السنوات الكئيبة التي عاشتها في الماضي سوف تمتد إلى المستقبل الذي لا نهاية له مع زوج تحتقره دائما.

أما عن لويس فإنه تصرف وتعامل مع إليانور بأسلوب جيد كأن لم يكن بينهما جفوة خلال العامين الماضيين حيث شعر بسعادة غامرة بعد أن علم بأن إليانور في حالة حمل جديدة[1].

اعتقد لويس أنه سوف ينجب أخيرا الوريث الذي انتظره سنوات عديدة حتى الفرنسيين الذين كانوا مشغولين بتشويه سمعة إليانور والنميمة حول علاقتها الغير شرعية مع عمها، فقد وجدوا أنفسهم مضطرين للتعامل مع الملكة باحترام.

كان لويس على يقين شديد بأن إليانور سوف تنجب ذكرا وتصور أن نصائح البابا ومشورته لا يمكن أن تأتي إلا بطفل سليم ذكر. كان شتاء هذا العام شديد البرودة، حيث تجمدت الأنهار واختفى النبيذ من الشوارع، ولم يجلس الطلاب في الطرقات كالمعتاد بل تجمعوا في الحانات حتى يحصلوا على التدفئة من نيران المواقد. استغل الأب سوجير غياب الملك لويس وزوجته إليانور في الشرق وقام بعدة إصلاحات في قصر سيتي، فأعاد بناء الحجرات المهدمة فيه.

جلست إليانور وسط هذا الطقس البارد في حجرتها الخاصة تحاول الحصول على بعض التدفئة من أحد المدافئ الموجودة في الحجرة وتحاول أن تمعن النظر والتفكير فيما يجب أن تفعله وتراقب ما يحدث حولها، ووجدت أن لا شئ قد تغير حولها عما كان عليه في الماضي، فقد استمر ثيري جاليران عدوها اللدود ملازما للملك في كل تحركاته، وظل لويس على حالة الرهبنة كما كان دائما.

ورغم الدور الذي قام به البابا إيوجين Eugen للإصلاح بينهما، إلا أن نسيج علاقة إليانور ولويس كان نسيجا من خيط ضعيف، فعلى الرغم من بقائهما في حجرة واحدة إلا أن كل منهما كان ينام في سرير منفصل عن الآخر، وبرغم محاولات لويس للتقرب من إليانور إلا أنها لم يكن لديها رغبة في البقاء بالقرب منه.

عانت إليانور معاناة شديدة من الاكتئاب طوال شهور الحمل فالحياة في نظرها أصبحت عديمة القيمة وخالية من مشاعر الحب أكثر من أي وقت مضى.

فبرغم اللحظات المظلمة الماضية التي عاشتها في القدس، إلا أنها لم تشعر بهذا الإحساس، وظلت تمني نفسها بأنها قد تستطيع إقناع البابا إيوجين بوجود قرابة الرحم بينهما ومن ثم تستطيع الحصول على الطلاق[2].

لكن ما حدث بعد ذلك أثبت أنها قد نصبت لنفسها فخا، فهي الآن تبدو كفراشة سقطت في قالب من الثلج فتجمدت وشلت كليا.

في أوائل صيف عام 1150م وضعت إليانور إبنتها الثانية التي عمدت تحت اسم اليس Alice وفي اليوم التالي الذي أنجبت فيه إليانور تلك الفتاة لم يكن هناك أي مظهر فرح للاحتفال

(1) Meade, Eleanor, P. 128. Kelly, Eleanor, P. 74.
(2) Meade, Eleanor, P. 128. Kelly, Eleanor, P. 74.

بتشريف الأميرة الجديدة فلا مشاعل في الميادين الفرنسية بل كان هناك حالة من الغضب الذي ساد فرنسا بسبب إخفاق إليانور مرة ثانية في إنجاب وريث للعرش.

لم يكن هناك أي احتفال في فرنسا ما عد الاحتفال الوحيد الذي أقامته الملكة إليانور لنفسها في غرفتها الخاصة وربما لو كانت إليانور قد أنجبت ذكرا لتغير تاريخ أوروبا واختلف اختلافا كبيرا وذلك لأن الطفل لن يكون وريثا فقط للعرش الفرنسي بل سوف يرث أيضا ميراث إليانور وبذلك سيتحكم في أملاك شاسعة[1].

كانت هذه المملكة تراود عقل الملك لويس السادس عندما علم بوفاة وليام العاشر دوق أكوتين، وتلك الفكرة التي كانت في عقل لويس السادس ساندها وأيدها الأب سوجير لمدة سنوات فكلاهما كان مدركا تماما أن أراضي الدوق وليام العاشر هي الخطوة الأولى لإقامة مملكة قوية متحدة، خاصة عندما تنجب إليانور ذكرا وعلاوة على ذلك عندما يخلف هذا الإبن الملك لويس السابع على العرش الفرنسي.

كان حمل إليانور قضية رسمية شغلت المواطنين الفرنسيين لكن عندما فشلت في إنجاب الإبن شعر المواطنون بالقلق، وبعد أن أثبتت إليانور فشلها للمرة الثانية، بدا أكثر الأعضاء في مجلس لويس يعربون عن خوفهم من أن تواصل إليانور إنجاب لإناث.

إن كفاح إليانور من أجل الحصول على الطلاق والذي كانت قد فقدت الأمل في تحقيقه أصبح بعد أن أنجبت إبنتها الثانية أمرا سهلا يمكن الحصول عليه خاصة وأن كثيرا من البارونات بدأوا يحثون الملك لويس على طلاقها، فهم على الرغم من أنهم كانوا متهاونين جدا بمسألة قرابة الرحم، إلا أنهم لم يروا أي سبب للصبر على ملكة جلبت كوارث كثيرة على شعبها إضافة إلى إنجابها للفتيات[2].

لم يكن هؤلاء البارونات بالطبع متكرثين برغبات الملكة الشخصية فقد اعتبروها مثل عربة أخفقت في العمل بما يجب أن يكون. سيطرت على لويس حالة من القلق والاكتئاب بعد إخفاق إليانور في إنجاب الوريث فرغم كونه في الثلاثين من عمره إلا أنه بدا أكبر من ذلك بكثير فالهموم التي تحملها جعلته يبدوا أكبر من سنه الحقيقي فقد رأى لويس أنه رغم زواجه منذ أكثر من خمسة عشر سنة إلا أنه حتى الآن لم ينجب وريثا ذكرا ليخلفه على العرش، لذلك قرر أنه إذا أخفقت إليانور في إنجاب الوريث فإنه سوف يتصرف مثلما فعل أسلافه السابقون الذين اضطروا إلى الزواج مرة أخرى بعد أن فشلت زوجاتهم في تحقيق ذلك الأمل، ومن ثم فقد قرر لويس الزواج مرة أخرى حتى يضمن مسألة وراثة العرش[3].

ورغم حالة الاضطراب والغضب والقلق التي سادت فرنسا عقب ولادة الأميرة أليس، فهناك شخص واحد لم ينتابه مثل ذلك وهو الأب سوجير الذي كن متفائلا جدا فقد رأى أن كلا من إليانور ولويس لازالا شابين ومن الممكن أن ينجبا مرة أخرى الابن الوريث.

رأى الأب سوجير أن أهم شئ هو عدم الحديث عن مسألة الطلاق والميراث في أكوتين وهو الذي خطط لويس السادس للحصول عليه وهو على فراش الموت[4].

---

(1) Meade, Eleanor, P. 128. Kelly, Eleanor, P. 74.

(2) Meade, Eleanor, P. 128. Kelly, Eleanor, P. 74.
Ffiona, Eleanor, P. 38. Owen, Eleanor, P. 29.

(3) Fawtier, Robert, The Capetian kings of France translated by L. Butler and R.J. Adam. London, Macmillan and Co., 1960, P. 50, Meade, Eleanor, P. 130.

(4) Meade, Eleanor, P. 130. Kelly, Eleanor, P. 74.

وبالنسبة للفرنسيين الذين حاولوا إقناع الملك لويس بتطليق إليانور فإنهم برروا موقفهم بأن دوقية أكوتين هي أكثر المقاطعات تمردا واضطرابا في أوروبا ولم يسبق وأن قدمت لفرنسا موارد وإيرادات مهمة.

وإذا نظرنا إلى هذا الرأي نجد أنه صحيحا ومقبولا لأن لويس السادس نفسه الذي كان يمتع بشخصية قوية لم يستطع السيطرة على الفوضى والتمرد المنتشرة في أكوتين وكان يفتقر إلى الإيرادات التي تمكنه من إخضاع تلك الدوقية وقد استمرت تلك الفوضى بعد وفاة لويس السادس عام 1137م وتولى إبنه لويس السابع، فمملكة الفرنجة لم تكن مهيأة لاحتواء هذه المقاطعة الكبيرة حتى منتصف القرن الثاني عشر.

ورغم هذا التباين في وجهات النظر والهواجس والآراء التي سادت فقد انتصرت وجهة نظر الأب سوجير وتم تأجيل مسألة الطلاق خاصة وأن الأب سوجير أدرك ببصيرته النتائج التي سوف تترتب على طلاق الملك لويس لزوجته إليانور، تلك النتائج التي لن تقتصر على خسارة فرنسا لدوقية أكوتين فقط بل إنه في حالة إذا ما تزوجت إليانور مرة أخرى فإن أملاكها سوف تنتقل إلى زوجه الجديد[1] مما سيؤدي إلى ارتفاع شأنه ويجعله في مكانة أعلى من مكانة الملك لويس شخصيا، لذلك بذل الأب سوجير كل جهوده حتى يمحو من عقول الفرنسيين الفشل الذي منيت به الحملة الصليبية الثانية، كما حاول إزالة الإحباط من نفس لويس وأقنعه بأن الحياة لابد أن تستمر، كما أنه أطلعه على المؤامرات والمكائد التي دبرت ضده أثناء غيابه في الشرق وذلك من قبل بعض أتباعه المعادين له، وكان على رأس هؤلاء الأتباع جيفري[2] بلانتجنت كونت أنجو Geoffrey plantagent count Angou وإبنه هنري الثاني[3] Henery II.

كان جيفري بلانتانجت نموذجا للأمير النبيل في العصور الوسطى حيث اتسم بالوسامة والذكاء والثقافة.

لم يكن جيفري وإبنه هنري أعداء للملك لويس ولا الملكة إليانور، فقد قاتل جيفري مع والدها وليام العاشر William X في أكثر من حملة، أحيانا باعتباره عدوا له وأحيانا أخرى باعتباره حليفا[4].

حضر جيفري بلانتاجنت إلى باريس عام 1147م أثناء الإعداد للحملة الصليبية وذلك من أجل أن يخطب ماري Marry إبنة الملك لويس السابع لإبنه هنري الثاني وكان جيفري يخطط

---

(1) Meade, Eleanor, P. 130.

(2) يرجع الفضل في إرساء قواعد أسرة البلانتجنت إلى سلسلة من شحن القلاع في وادي اللوار، وقد ارتقى أمراء تلك القلاع في القرن العاشر ليصبحوا كونتات أنجو، كان الانجنفيين ذو مزاج ناري، وأقوياء في القتال، يسرعون للانتقام مما لحقهم من أخطاء، كما أنهم كانوا كرماء نحو الكنيسة.
كان هؤلاء الرجال ذوي تأثير رفيع في شغل أدارهم في النشاطات السياسية المعقدة، وبالتدريج تمكنوا من بناء قاعدة قوية من خلال مزيج من النشاط الحربي والدبلوماسي والزيجات السياسية الجيدة والتحالفات، ففي سنة 1128م غدا الكونت فولك الخامس ملكا للقدس، وترك حكم أنجو لإبنه جيفري الأشقر (1151-1128م) وتمكن جيفري من الاستيلاء على نورمنديا وادعى الحق في عرش انجلترا من خلال زواجه من الإمبراطورة ماتيلدة وقد لقب جيفري الأشقر بلقب بلانتجنت لأنه كان يرتدي قبعة زينت بقشة مكنسة وحمل أبناء جيفري هذا اللقب وسار ابن جيفري هنري الثاني على خطا والده بالتحرك السياسي فتزوج زواجا رائعا وكان مهاجما فعالا ولذلك أقام مملكة واسعة وحافظ عليها.
انظر: سهيل زكار: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج30، ص377.

(3) Meade, Eleanor, P. 130.

(4) William of New burgh, Historia Rerum Anglorum, Edited by Richard How lett. 2Vols, Vol. 1, P. 70.

لإتمام هذا الزواج لأنه كان يطمع في أن يحصل من ورائه على دوقية أكوتين أوجزء منها كصداق لماري. لكن القديس برنارد عارض إتمام هذا الزواج وحرمه بسبب وجود قرابة رحم من الدرجة المحرمة بين إليانور وهنري الثاني ابن الكونت جيفري، وبالتالي فشل هذا الزواج.

كان هنري الثاني في الثالثة عشرة من عمره عند قدومه مع والده للخطبة، ولا شك أن إليانور قد فحصته بدقة كصهر لكنها كانت مشغولة أيضا في تلك الفترة بالتجهيز للحملة الصليبية أكثر من اهتمامها بهذا الزوج الصغير(1).

بعد عودة لويس من الشرق وعلمه بالمكائد التي دبرها ضده جيفري بلاتنجنت وإبنه هنري وعدم التزامهم بالواجبات الإقطاعية باعتبارهم أتباعا إقطاعيين للملك لويس، حيث عين جيفري إبنه هنري دوقا لنورمنديا Normandy في يناير عام 1150م وكان من عادة الإنجفيين تحميل أبنائهم للمسئولية قبل وفاة آبائهم.

بعد أن أصبح هنري دوقا لنورمنديا رفض تقديم الولاء المعتاد والذي هو من شروط التبعية إلى الملك لويس لذلك قرر لويس تلقين هذا الشاب المتمرد ووالده درسا قاسيا(2).

خرج لويس في عام 1150م على رأس قوة عسكرية متجها إلى حدود نورمنديا لكن قبل أن تبدأ المناوشات تدخل الأب سوجير وحاول إقناع الملك بالتراجع عن الحرب وذلك لعجز قواته العسكرية كما أخبره بأنه لا يمكن أن يعلن الحرب إلا بموافقة البارونات، وبالفعل نجح الأب سوجير في حمل لويس على التراجع عن هدفه والعودة إلى باريس بينما عمل الأب سوجير على التريث لعقد هدنة بين الطرفين(3).

توفي الأب سوجير عام 1151م، وهو المستشار الأول للملك لويس وصاحب الكلمة العليا في المملكة، والذي تحمل أعباءها طوال فترة غياب لويس السابع عن البلاد دون كلل أو ملل، وكان مخلصا وناصحا وأمينا. فكان لوفاته أكبر أثر على الملكة حيث حرم الملك من استشاراته وصحبته وبوفاته سقط المانع والسد الذي كان يقف أمام إليانور ونزعاتها التحررية(4).

لذلك بدأت إليانور منذ صيف 1151م تستعد نفسيا للحصول على حريتها فالتطورات التي حدثت في الشهور الأخيرة ساعدت على جعلها تفكر مرة أخرى في الطلاق والهروب من جزيرة فرنسا ille de France الكريهة كما بدأت تنشغل بحلم عودتها إلى قصرها في بواتييه.

لم يكن هناك اتفاقا بين إليانور ولويس على الطلاق ولا تاريخا محددا لحدوثه، لكن فشل إليانور مرة أخرى في إنجاب وريث للعرش وحالة الغضب التي سادت فرنسا جعلتها تشعر بأن طلاقها سوف يستغرق بضعة شهور فقط خاصة بعد وفاة الأب سوجير(5).

جددت إليانور طلبها للطلاق من لويس بإلحاح شديد، وفي تلك المرة وجدت أنه في حالة نفسية مهيأة للموافقة على طلاقها رغم أنه ما زال يحبها، إلا أن إصراره على البقاء معها بدأ يفتر.

---

(1) Meade, Elenor, PP. 135 – 136.
(2) Meade, Eleanor, P. 136. Kelly, Eleanor, P. 75.
(3) Meade, Eleanor, P. 136.
(4) Robert of Torigni. Chronicle Edited by Richard Howletty, Rolls Series, 82, Vol. 4, P. 162.
Meade, Eleanor, P. 138. Kelly, Eleanor, P. 75. Owen, Eleanor, P. 29.
(5) Meade, Eleanor, P. 138.

رأى لويس أن يتخلص من حبه لإليانور لعجزه عن إرضائها في كل الأحوال كما أن خوفه من أن يموت بدون وريث يخلفه على العرش ساعد على ضعف عاطفته تجاهها.

اعتقد لويس أن نصيحة الأب سوجير له بعدم تطليق إليانور خوفا من ضياع دوقية أكوتين لا جدوى منه فليس هنك فائدة من امتلاك هذه المقاطعة لملك ليس له وريث.

رغم قبول لويس لفكرة الطلاق إلا أنه كان مترددا في تنفيذها، لأنه رأى أنه لا يمكن تنفيذ قرار الطلاق بسرعة، وذلك لأنه هو وإليانور ليسا أشخاصا عاديين يمكنهما الانفصال دون إعداد سابق ودقيق حيث كان هناك حاميات فرنسية تابعة للملك في المدن الرئيسية لإقطاع إليانور، ولكن في هذا الوضع الحساس يجب أن تعود تلك الحاميات إلى باريس في هدوء بشكل نظامي[1] قبل إتمام الطلاق، وذلك حتى يمكن للملكة إليانور العودة إلى أراضيها دون قلق أو صراع محتمل بين رجال الملك وأتباعها الإقطاعيين.

اقتنعت إليانور بهذه المبررات، لأنها كانت تهتم بمقاطعة أكوتين اهتماما خاصا وتوفير الأمن لها يسبق كل شئ.

بعد موافقة لويس على طلاق إليانور تحسنت حالتها النفسية وتألقت وشعرت بسعادة بالغة، وجلست تنتظر تحقيق حلمها ولا شك أن العذاب والقلق والترقب الذي حدث لها أثناء انتظارها لتنفيذ الطلاق كان أكثر مما شعرت به أثناء انتظارها رحيل الحملة الصليبية إلى الشرق، وأثناء مغادرتها للقدس بعد فشلها.

بدأت إليانور تفكر فيما سوف تقوم به بعد عودتها إلى بواتييه، وذلك أثناء انتظارها للطلاق، وكان من بين أفكارها إنشاء قاعة رائعة في بواتييه تكون قبلة للشعراء الجائلين والمغنين، وتكون هذه القاعة على نمط ما رأته سواء في بلاط جدها وليام التاسع أو في بلاط عمها ريموند في أنطاكية[2].

لقد امتلكت إليانور عزيمة وإصرار كبير على تحقيق أهدافها فمنذ طفولتها لم تكن مثل باقي فتيات عصرها بل كانت عنيدة، مرحة، منغمسة في اللهو والترف، معجبة بالشعراء الجائلين الذين كانوا يقيمون في بلاط جدها، كما أنها كانت ذات شخصية قوية تريد أن تلعب الدور الرئيسي في أي مكان توجد به، لذلك نجدها ثارت على الدور الثانوي الذي فرض عليها كملكة لفرنسا، وبرغم قوة شخصيتها إلا أنها أدركت بذكائها أن تلك الشخصية لا تكفي أمام الصعوبات التي قد تواجهها باعتبارها أنثى تحكم ومطلقة في أرض مملوءة بحركات التمرد والشغب مثل أكوتين. فقد تذكرت حادثة الاختطاف التي تعرضت لها خطيبة والدها وليام العاشر إيما من ليموج Ema of Limoges وأدركت إليانور أن أي فارس طموح لا يمتلك أرضا سوف يكون لديه الجرأة على اختطافها أثناء مرورها على طريق بواتييه المتعرج.

أدركت إليانور أنها ستحتاج بعد طلاقها إلى حارس قوي في كل الأوقات أو زوج يكون على خلاف زوجها السابق لويس الراهب فهي تحتاج إلى زوج يهتم أولا وقبل كل شئ بإشباع عاطفتها لأنها تتطلع إلى الحب والرومانسية التي حرمت منها عدة سنوات. أثناء ذلك بحثت إليانور عن أسماء السادة المتواجدين والذين يمكن اختيار واحد منهم ليكون زوجاً لها.

لذلك فإن اختيارها في هذه المرة لن يكون مبنيا على أسس سياسية مثلما حدث في زواجها الأول بل سوف تختار رجلا نبيلا أنيقا على غرار عمها ريموند دي بواتييه أو جيفري كونت أنجو.

---

(1) Meade, Eleanor, P. 138.
(2) Meade, Eleanor, P. 139.

اهتمت إليانور بمعرفة أخبار جيرانها خصوصا الشماليين وذلك استعدادا للقيام بدورها المستقبلي كحاكمة لدوقية أكوتين، وفي عام 1151م تحدث الناس في فرنسا كثيرا عن جيفري بلانتاجنت وإبنه هنري وعن التجاوزات التي اقترفوها ضد الملك لويس وعدم التزامهم بالواجبات الإقطاعية ناحيته ولعل عدم التزام جيفري بالواجبات الإقطاعية تجاه لويس وعدائه له ليس أمرا جديدا وإنما يرجع إلى الماضي[1].

ففي عام 1144م عندما كان جيفري دوقا لنورمنديا وقبل تعيين إبنه هنري دوقا لها، قام جيفري بالتصدي لجيرالد الذي كان يعمل مندوبا عن ملك فرنسا لويس السابع، وكان قد أرسله ليتصدى لتجاوزات واعتداءات جيفري المستمرة ضده، ولتحقيق ذلك بنى جيرالد قلعة حصينة قوية حتى يتخذها قاعدة يهاجم منها جيفري كونت أنجو، وبالفعل نجح جيرالد في إلحاق الأذى بالدوق جيفري من القلعة التي بناها في المنطقة الواقعة على الحدود بين بواتييه وأنجو.

غضب جيفري كونت أنجو من جيرالد وقلعته وصمم على إزالتها وأسر جيرالد وعائلته، ولذلك قام بحصار القلعة لمدة عام واستطاع في النهاية القبض على جيرالد وعائلته وزج بهم في السجن.

تتمثل أهمية جيرالد في كونه أحد أفراد آل كابيه الحاكمة حيث فشل في ردع جيفري والذي أساء معاملته هو وعائلته أثناء سجنهم مما جعل لويس يشعر بالذل ويرى أن الضربات التي وجهها إليه جيفري فاقت بكثير ما تعرض له من ضربات طوال حياته. ولم يستطع لويس عمل شئ في ذلك الوقت لكنه أقسم على التصدي لجيفري ثأرا لجيرالد ولوقف تجاوزاته المستمرة ضده.

وجد لويس أنه لزاما عليه وبشكل ضروري نتيجة لسلوك جيفري التصدي لتلك التجاوزات والتي اعتبرها عدم احترام وتقدير من تابع لسيد إقطاعي.

فشلت المواجهة الأولى بين لويس وتابعه جيفري وإبنه هنري عام 1150م وذلك بسبب تدخل الأب سوجير الذي بذل جهده لإقناع لويس بالعدول عن هدفه وسعى لعقد هدنة بين الإثنين لكنها لم تحقق هدفها في وقف اعتداءات جيفري وإبنه على لويس ولذلك قرر لويس القيام بحملة أخرى ضدهما.

ففي أوائل صيف 1151م حشد لويس قواته بالقرب من حدود نورمنديا بينما جمع جيفري وهنري جيشهما على الجبهة الأخرى استعدادا للمواجهة عندئذ لاحظت إليانور أن الاستعدادات التي

(1) Meade, Eleanor, PP. 139 – 140.

اتخذها لويس ليست كافية وأن سبب النزاع يبدو تافها ورأت أن الحرب عندئذ تعتبر مضيعة للوقت ولذلك لم تشعر بالقلق من هذه المواجهة التي فشلت مثل كل مغامرات لويس العسكرية[1].

وفي اللحظة الأخيرة أصيب لويس بمرض الحمى وأسرع عائدا إلى قصره حيث قضى باقي الصيف في سريره.

وأثناء فترة نقاهته أقنعه مستشاروه بأن الملك الذي حمل الصليب في الحملة وقام بالحج يجب أن يتوقف عن إراقة دم أي مسيحي لذلك وافق لويس على استدعاء القديس برنارد للتوسط لوقف إراقة الدماء[2].

وفي الحادي عشر من شهر أغسطس عام 1151م وصل جيفري وإبنه هنري إلى باريس لتقديم ولاءهم المتأخر إلى سيدهم الأعلى ولم تكن زيارتهما لباريس لمجرد تقديم الولاء والتبعية إلى لويس فقط وإنما كان هدفهما الرئيسي هو الحصول على موافقة لويس على تعيين هنري دوقا لنورمنديا وأيضا لحل مشكلة جيرالد برلي أمير فرنسا. كانت زيارة جيفري وإبنه أثناء مرض لويس وبعد حضورهم استيقظ بصعوبة للترحيب بضيوفه وقد بدا الجو غير مناسب للمناقشة العادية فكان لارتفاع درجة حرارة الطقس أن أصيب الحاضرون بحدة في المزاج كما أن عدم توقير واحترام الملك عند دخولهما القاعة بددت أي آمال للمصالحة السلمية.

لم يتحدث جيفري وإبنه مع الملك لويس بأسلوب مهذب بل تحدثوا بتحدي خال من التوقير. وعلاوة على ذلك فإن جيفري قد صحب معه خلال الزيارة الأسير جيرالد الذي ساقه مكبلا في السلاسل بصورة مهينة وذلك لرد التهم المنسوبة ضده بسبب اعتداءاته السابقة على جيفري[3].

وكان لهذه الطريقة أثرها على بث الفزع في نفوس الفرنسيين خاصة القديس برنارد الذي كان يكره جيفري كثيرا والذي سبق وأن أصدر ضده عقوبة الحرمان الكنسي.

إن صورة جيرالد وهو مقيد في السلاسل بهذا الشكل دفعت برنارد إلى الإعلان عن استعداده لرفع الحرمان الكنسي الصادر ضد جيفري مقابل إطلاق سراح جيرالد.

اعتقد القديس برنارد أن عرضه هذا سوف يلاقى ترحاباً من قبل جيفري خاصة، وأنه سيحصل على رفع الحرمات الكنسي لكن جيفري رد على عرض القديس برنارد رداً أذهل الفرنسيين وأثار إعجاب إليانور التي كانت حاضرة تلك المناقشة.

رفض جيفري عرض برنارد وأخبره بأنه كان سيعدم جيرالد عندما كان لويس غائبا في الأراضي المقدسة كما أخبره أيضا بأنه لا يهتم بمحو قرار الحرمان الكنسي ضده وأنه إذا كان سجنه لجيرالد ذنبا فهو لا يريد أن يغفر ذلك الذنب. أثار هذا الرد الذي اعتبره القديس برنارد كفر شديد وغضب بشدة[4]، وهدد جيفري بأنه سوف يلاقي حتفه خلال شهر ولكن جيفري لم يظهر أي قلق حيال ذلك التهديد.

---

(1) Meade, Eleanor, P. 140 – 141.
(2) Meade, Eleanor, P. 141.
(3) Robert of Torigni, chronicle, P. 162. Kelly, Eleanor, P. 76. Meade, Eleanor, P. 141. Owen, Eleanor, PP. 29 – 30.
(4) Robert of Torigni, Chronicle, P. 162. Meade, Eleanor, P. 141. Kelly, Eleanor, P. 76.

كانت تلك المناقشة الخطيرة التي حدثت في بلاط آل كابيه والتي لم يحدث مثلها طوال سنوات دليلا قاطعا للملك لويس على خطر البلانتجنت لكن المدهش والغريب أن الملك لم يبد رد فعل إزاء ذلك ولم يعمل على إنهاء التوتر الذي ساد المناقشة والتي انتهت بانسحاب جيفري وإبنه من القاعة وهي عادة الانجنفيين عندما تفشل المفاوضات في تحقيق أهدافهم.

أعادت تلك المناقشة التي حضرتها إليانور إليها ذكريات والدها وجدها اللذان لم يهابا رجال الدين ولم يحترموهما والتي ملت إليانور نفسها من دس أنوفهم في كل شئ[1].

لم يرغب جيفري في أن يكون دمية في يد برنادر وإنما كان من نوعية الرجال الذين كان منهم أجدادها وهي إذ لم تستطع مساعدته أثناء المناقشة فقد أيدته في سرها.

كان لدى إليانور فرصة كافية أثناء المفاوضات لدراسة شخصية هذين الرجلين جيفري وهنري، ورغم أن جيفري كان في الثامنة والثلاثين من عمره ولا يزال محتفظا بالصفات الطبيعية التي أكسبته الوسامة إلا أن إبنه هنري جذب انتباهها أكثر من والده فقد كان في الثامنة عشر من عمره، مثقفا ثقافة متنوعة استمدها من القراءة والتجربة، وكان متألقا ومهذبا وقوي البنية ووسيم ومظهره مظهر أمير حقيقي.

قارنت إليانور أثناء المناقشة بين هذا الأمير الوسيم قوي الجسم ورغم أن هنري كان وسيما إلا أن إليانور أدركت أنه لا يشبه الفرسان اللطفاء فكان من الصعب أن تميزه عن الخدام فكانت يداه جافة وخشنة وملابسه مهملة رغم أنها من نوع جيد، ولم يبال أو يهتم هنري بما يفكر فيه الآخرون[2]، فطوال الاجتماع لم يجلس لحظة واحدة بل كان يمشي ببطء ونفاذ صبر داخل القاعة كما لو كان غاضبا على إهدار وقته في هذه المناقشة ورغم أنه لم يكن مهتما بالانغماس في اللهو والترف أو التودد إلى النساء إلا أنه حظى بإعجاب إليانور.

لم يغادر جيفري وابنه هنري باريس، رغم تركهما للاجتماع غاضبين بل استمرت زيارتهما عدة أيام ففي نهاية الأسبوع الذي زارا فيه باريس وافق جيفري وإبنه وبدون تهديد من القديس برنارد على إطلاق سراح جيرالد كما وافقوا على التنازل عن فيكسين Vexin مقابل الاعتراف بهنري دوقا لنورمنديا.

ومما أثار دهشة الفرنسيين موافقة جيفري وإبنه على التنازل عن فيكسين رغم أهميتها الكبيرة لهما وذلك لأنها تقع على الحدود الشمالية الشرقية بين نورمنديا وفرنسا وكانت مثار نزاع بين الدولتين منذ القرن العاشر حتى تم تقسيمها، فأصبح الجزء الشمالي منها تابعا لدوقية نورمنديا أما الجزء الجنوبي فأصبح تابعا لآل كابيه في فرنسا. ورغم أن جيفري وهنري اعتبرا بلدة فيكسين مهمة للحفاظ على أمن وسلامة دوقية نورمنديا، إلا أنهما في الماضي وفي العام 1144م تنازلا عن نصف هذه المدينة إلى لويس السابع مقابل اعترافه بجيفري دوقا لنورمنديا.

أما الآن وفي عام 1151م وخلال زيارتهما هذه وافقا على التخلي عن باقي المدينة[3] لمصلحة لويس، وهذا أدهش الفرنسيين ولم يجدوا له تفسيرا سوى أنه يعتبر معجزة من معجزات برنارد[4].

---

(1) Robert of Torigni, Chronicle, P. 162. Kelly, Eleanor, P. 76.
Meade, Eleanor, P. 141. Owen, Eleanor, PP. 29 – 30.
(2) Meade, Eleanor, P. 142. Owen, Eleanor, P. 30.
(3) Robert of Torigni, Chronice, P. 162. Meade, Eleanor, P. 143 Kelly, Eleanor, P. 78.
(4) Robert of Torigni, Chronice, P. 162. Meade, Eleanor, P. 143.
Kelly, Eleanor, P. 78.

لكن الحدث الأكثر أهمية هو أنه أثناء زيارة جيفري وإبنه لباريس قررت إليانور الزواج من هنري الذي وافق على هذه الفكرة بلهفة شديدة لكن كيف تم اتخاذ هذا القرار فإن هذا الأمر ظل لغزا بالنسبة لمؤرخي القرن الثاني عشر.

حاول المؤرخ وليم نيوبيره William of Newburgh توضيح هذا الأمر فكتب قائلا "لقد فتنت إليانور بهذا الدوق الشاب الصاعد والغني دوق نورمنديا، ورغبت في الزواج منه على أساس التوافق بينهما"[1] لقد ذكر أكثر من مؤرخ أن هناك علاقة وثيقة تمت بين إليانور وهنري بلانتاجنت أثناء زيارة جيفري وهنري لباريس.

قصت إليانور التي كانت تعاني في ذلك الوقت من العزلة والكآبة في بلاط آل كابيه لهنري عن معاناتها الشديدة وأخبرته بأنها كانت تعتقد عند زواجها من لويس بأنها سوف تتزوج ملكا لكنها اكتشفت أنها تزوجت راهبا[2].

قام والتر ماب Walter Map الخادم الخاص لهنري ومؤرخ سيرته الذاتية برواية تلك القصة السابقة[3] فإن كانت صحيحة فإن تفاصيلها غير معروفة بالضبط وغير معروف كيف وأين ومتى كانت إليانور تقوم بمقابلة هنري. ربما استغلت مرض وعجز لويس، وأرسلت خادمة من بين خادماتها سارت بين الممرات المظلمة في القصر حاملة رسالة إلى هنري تدعوه فيها لزيارة إليانور في غرفتها الخاصة بعد نوم جميع من في القصر ومهما كان الأسلوب الذي اجتمعا به فقد تم بشكل دقيق وبسيرية كاملة فلم يعرف أحد في القصر عن ذلك شيئا لكن الروايات التي رواها المعاصرون تزوى أن هنري أغوى وسرق زوجة سيده الأعلى رغما عنه، لكن إذا كان هناك إغراء فلا شك أنه كان من جانب التي أغوت ذلك الفتى المفعم بالشباب والتي لم تهتم بفارك السن بينهما ولا بالحقيقة الواضحة عن أنه لا يجيد فن التودد إلى النساء كسائر الفرسان لكنها وجدت فيه فرصة للهروب من نيران آل كابيه[4].

أما هنري فقد أصبح فارسا وباشر حكم منطقة واسعة من أملاكه كما كان يعمل على عقد تحالف قوي يستطيع من خلاله أن يستفيد كل فائدة ممكنة في تعامله مع سيده الأعلى ملك فرنسا. رغم أن السادة الإقطاعيين الذين كانوا يبحثون عن زوجات من صاحبات الإقطاعات العظيمة بغض النظر عن كونهن جميلات ولهن شخصية قوية، إلا أن هنري وجد أن إليانور علاوة على ميراثها القيم فإنها أيضا ذات شخصية ساحرة وذكاء شديد، وتوقع هنري مساعدتها له بسبب خبراتها السابقة كملكة لفرنسا، واشتراكها في الحملة الصليبية ولقائها بعدة شخصيات بارزة فكل ذلك يجعلها رفيق وناصح حكيم بالنسبة لملك صاعد مثل هنري.

كان هنري في الثامنة عشرة من عمره وإليانور في الثلاثين إلا أنه لم يهتم بفارق السن الشاسع فوالدته الإمبراطورة ماتيلدة Matelda كانت أكبر من والده جيفري بخمسة عشر عاما. فقد رأى هنري أن إليانور بلا شك جائزة ثمينة لأي ملك فامتلاكه لإقطاعاتها سيمنح هنري موارد بشرية من الرجال وفائضا من الأموال التي ستهيئ له السبيل للمطالبة بعرش انجلترا.

على أية حال فإن ما حدث من هنري وإليانور بقي سرا فلم يوجد لفظ أو كلمة تؤكد هذه الخيانة لكن كل ما ورد كان من استنباط المؤرخين وتأويلاتهم للأحداث، حيث اعتمدوا في رواياتهم على التغير الغريب الذي طرأ فجأة على جيفري وإبنه هنري اللذان أصرا أمام الأب برنارد على عدم إطلاق سراح جيرالد لكنهما في النهاية وافقا على إطلاق سراحه وبدون أي شروط وعلاوة

(1) Historia Rerum. Anglorum, Vol 1, P. 93.
(2) De Nugis Gurialium (Courtiers' Trifles), P. 297.
(3) Wlater Map, De Nugis Gurialium, P. 297.
(4) Meade, Eleanor, P. 144. Kelly, Eleanor, P. 77.

على ذلك تنازلا عن مدينة فيكسين رغم أهميتها الكبيرة بالنسبة لهما. كما أن هنري أقسم يمين الولاء والتبعية لسيده الأعلى لويس السابع وأقسم على الدفاع عنه بإخلاص وعلى حمايته من كل أعدائه[1].

إن تغير موقف جيفري وإبنه تجاه لويس هو الذي جعل المؤرخين يبنون عليه استنتاجاتهم حول وجود علاقة بين إليانور وهنري لكن الحقيقة لا يعرفها أحد خاصة وأن تاريخ إليانور حيكت حوله أساطير كثيرة كما ذكرنا وربما خاف جيفري وإبنه من سيدهما الأعلى أو ربما قلق جيفري من تهديدات الأب برنارد له أو ربما التفاهم الذي حدث بين إليانور وهنري كان وراء تغير موقفهما تجاه لويس السابع[2].

غادر جيفري وإبنه هنري باريس بعد الاتفاق مع لويس في أوائل شهر سبتمبر عام 1151م، بعد نجاحهما في تحقيق أهدافهما في خداع لويس لكنهما في الوقت نفسه كانا غاضبين لأنهما اضطرا إلى التنازل عن فيكسن التي اعتبروها خسارة مؤقتة وثمن بسيط مقابل مقاطعة أكوتين الغنية ومقابل اعتراف لويس السابع بهنري دوقا لنورمنديا حيث أصبح في وضع أفضل وأحسن وأخذ يعد العدة لتحقيق طموحاته في غزو انجلترا.

ففي الرابع عشر من سبتمبر عام 1151م خطط هنري لعقد اجتماع يضم بارونات النورمان لمناقشة ووضع الخطة التي يستطيع من خلالها غزو انجلترا والتي كانت تقوم على ضرورة جمع الأموال من أجل تكوين جيش كبير من المرتزقة ودفع مرتباتهم ووجد هنري أنه يمكنه الآن وبعد اعتراف لويس أن يجمع تلك الأموال بسهولة ويسر بعد أن قوى مركزه[3].

اضطر الكونت جيفري وإبنه هنري بعد مغادرتهما لباريس وخلال رحلتهما إلى أنجري Angres للتوقف للراحة بسبب ارتفاع درجة الحرارة وشدة الغبار فقاما بالسباحة في نهر اللوار Loire الذي يبعد حوالي خمسة وعشرون ميلا عن مدينة ليموكس Limoux واضطرا بعد ذلك إلى قضاء الليل في مكان قريب من النهر ربما في قلعة لي لود Le Loude وهناك تحققت نبوءة الأب برنارد، حيث أصيب جيفري بالبرد والحمى، وتوفي بعد ثلاثة أيام، بعد أن فشلت كل الأدوية والمحاولات في إنقاذه لذلك تولى هنري المسئولية الصعبة والخطيرة، حيث رافق جثمان والده وقام بدفنه في كنيسة القديس جوليان Julian في مدينة ليموكس Limoux بعد ذلك اتجه هنري إلى أنجرس Angres حيث تسلم مناطق مين Main وأنجو Ango كوريث لوالده.

قبل وصول أخبار وفاة جيفري إلى باريس، كانت إليانور قد أخبرت لويس على أخذ الخطوة الأولى نحو تطليقها.

عودة إليانور إلى مقاطعاتها بالجنوب بعد طلاقها من الملك لويس السابع :

في أواخر شهر سبتمبر من عام 1151م، قام الملك لويس والملكة إليانور برحلتهما الأخيرة إلى أكوتين، وهذه الرحلة لم تكن مجرد نزهة عادية والدليل على ذلك أهمية المرافقين الذين رافقوهما فمنهم سكرتيره الخاصة Terry gleran تيري جاليران[4] ومستشاران آخران هما آدم برولارت Adam prolart وهيو دي شاميفلوري Hugh de champfilory وعددا بارزا من الأساقفة والبارونات.

---

(1) Kelly, Eleanor, P. 77.
(2) Robert of Torigni, Chronice, P. 162. Kelly, Eleanor, P. 78.
(3) Meade, Eleanor, P. 146. Kelly, Eleanor, P. 78.
(4) Robert of Torigni, Chronice, P. 163.
Meade, Eleanor, P. 146 Owen, Eleanor, P. 31.

أما إليانور، فكان لديها حاشية مستقلة من أهل الجنوب على رأسها جيفري دي رانكون Geoffrey De Rancon رئيس أساقفة بوردو Bourdoux الذي رأس قداس زواجها، وهو صديق قديم لعائلتها إلى جانب أساقفة بواتييه وعدد بارز من الأتباع مثل النائب تشاترلبولت Chatelleroult ووليم كونت أنجوليوم Angouleme William Cont وكان معظم هؤلاء أقارب للملكة وأحد قادتها.

وفي يناير عام 1152م احتفلت الحاشية الملكية بعيد الميلاد في ميدنة ليموج Limoges ومن هناك سافرت الحاشية جنوبا إلى مدينة بوردو Bourdoux وبعدها زارت الحاشية الملكية كنيسة القديس جان دي انجلي Saint Jean d'Angly في الثاني من فبراير حيث حضروا عيد تطهير مريم العذراء[1] وخلال هذه الجولة خلت مقاطعة أكوتين من الحاميات الفرنسية واستعدت لعودة إليانور.

في أواخر ذلك الشهر انفصل كل من لويس وإليانور فعليا حيث عادت إلى بواتييه وبينما سافر لويس إلى باريس ولم يبق على إعلان طلاقهما سوى اجتماع المجمع البابوي ليتم الإعلان رسميا.

سادت إشاعات طوال حياة إليانور بأن الملك لويس يستطيع أن يبرر طلاقه لإليانور لتهمة الزن لكنه رفض أن يعتمد على هذا السبب وأكد أن السبب هو وجود قرابة رحم بينهما.

وصف شاعر من مدينة ريمس Reims مشهد مسرحي ونابض بالحياة حول طلاق لويس للملكة إليانور[2] وهو أن الملك لويس استشار بارونات فيما يجب أن يفعله مع الملكة، فأجابوه قائلين "إن أفضل نصيحة يمكن أن نقدمها لك هي أن تتركها تذهب لأنها تعتبر شيطانة حقيقية وإنك إذا أبقيتها معك لفترة أطول فستجعلك تقتل نفسك علاوة على ذلك وقبل كل شئ فليس لديك ولد منها"[3].

رأى شاعر رميس أن لويس تصرف في تلك المسألة كالأحمق، فكان أفضل له أن يسجن إليانور بدلا من أن يطلقها وبهذا يستطيع أن يحتفظ بملكية إقطاعاتها[4].

إن القرار الذي اتخذه لويس بتطليق إليانور والذي اعتبره كثير من معاصريه قرارا أحمق وخاطئ، كان الاختيار الوحيد أمامه، رغم أنه كان يمكنه أن يسجنها ويحتفظ بأملاكها أو يطلقها على أساس الزنا، وفي تلك الحالة أيضا سوف تظل إقطاعاتها ميراثا لبناتها، حيث لا تستطيع إليانور أن تتزوج مرة أخرى بعد اتهامها بالزنا، لكن بالنسبة للويس فإنه لن يستطيع الزواج في الحالتين، فإذا سجنها لا يمكنه الزواج مرة أخرى طالما بقيت إليانور في عصمته وإذا طلقها على أساس الزنا أيضا لا يمكنه أن يتزوج مرة أخرى، ولذلك فإن القرار الذي اتخذه كان الحل الوحيد أمامه. وهكذا وبحلول عام 1152م لم يكن بارونات فرنسا هم المؤيدون فقط لقرار لويس بالطلاق

(1) Kelly, Eleanor, PP. 78 – 79.Meade, Eleanor, P. 147.
Owen, Eleanor, P. 31.
(2) Meade, Eleanor, P. 147. Kelly, Eleanor, PP. 78 – 79.
Owen, Eleanor, P. 31. FFiona, Eleanor, P. 39.
(3) Meade, Eleanor, P. 147. Kelly, Eleanor, P. 78 – 79.
Owen, Eleanor, P. 31. FFiona, Eleanor, P. 39
(4) Minstrel of Reims, Chronicle of Reims. In three old French Chronicles of the Crusades. Translated Edward Noble University of Washington, 1939. P.258.

بل وافق عليه الأب برنارد ليس فقط بسبب عدائه الشخصي لإليانور لكن أيضا لوجود قرابة رحم بينهما وهذا لم يجعله يأسف على خسارة فرنسا للملكة وميراثها[1].

وفي يوم الجمعة الموافق الحادي والعشرين من مارس عام 1152م طلب لويس الملكة إليانور للقدوم إلى القلعة الملكية لمدينة بيوجنس Beaugensy بالقرب من مدينة أورليان Orleans وذلك لإتمام إجراءات الطلاق.

انعقد المجمع الكنسي لإتمام الطلاق، وبرغم الوقار والتبجيل الذي بدا عليه المجمع إلا أن مهمته بدت عادية، حيث أكد المجمع البنود والشروط التي اتفق عليها كل من لويس وإليانور، كما حضر الشهود الذين أكدوا وجود قرابة رحم بينهما من الدرجة المحرمة أما الأميرات ماري وأليس فقد أعلن المجمع شرعيتهما وتم إسناد تربيتهما إلى الملك لويس.

كانت إليانور قد أنابت عنها في حضور المجمع رئيس أساقفة بوردو والذي طالب بوجود ضمانات تنص على عودة أكوتين كاملة إلى إليانور كما طلب أيضا أن يوافق المجمع والملك لويس على أن تتزوج إليانور مرة ثانية طالما تقدم الولاء والتبعية للويس باعتبارها وريثة إقطاع تابع له[2].

في النهاية أعلن المجمع رسميا برئاسة رئيس أساقفة مينز Mains طلاق إليانور من الملك لويس.

رسم مؤرخ في القرن السابع عشر صورة خيالية تصف الملكة إليانور فور سماعها لقرار الطلاق، فذكر أنها أصيبت بالإغماء وظلت تبكي وهي مذهولة واستمرت على تلك الحالة لمدة ساعتين مما جعل الأساقفة والبارونات يشعرون بالقلق والخوف على سلامتها العقلية[3].

لا شك أن تلك الصورة التي ذكرها المؤرخ هي صور خيالية وأسطورية وغير حقيقية فليس هناك سبب يجعل إليانور تشعر بالحزن بعد حدوث الطلاق الذي ظلت تحلم به وتسعى لتحقيقه سنوات عديدة، وربما لو كانت تلك الصورة تصف حالة الملك لويس لكان من الممكن تصديقها خاصة وأن لويس كان غير راغب في الطلاق ولا شك أنه حزن لهذا الانفصال وشعر بالأسف والندم على قراره على أية حال فإن قرار الانفصال إذا كان نهاية مخزية للويس فإنه كان بداية جديدة لإليانور[4].

وفي اليوم التالي من طلاق إليانور وهو يوم السبت الموافق الثاني والعشرين من مارس عام 1152م سافرت إليانور واتباعها إلى بواتييه Poitiers التي وصلت إليها أخبار طلاق إليانور قبل وصلوها إليها فاستعد المواطنون بإقامة الموكب وتزيين واجهات المنازل لاستقبال الدوقة.

خلال رحلة إليانور إلى بواتييه وعند اقترابها من مدينة بلوا Blois علمت إليانور أن الكونت ثيوبولد أوف بلوا Theobald of Blois يخطط لاختطافها لكن إليانور استطاعت أن

(1) Meade, Eleanor, P. 148.
(2) William of New burgh, History of English, P. 129.
Lavisse, Histoire de France, Tom, 2, PP. 28 – 29.
Meade, Eleanor, P. 148. Kelly, Eleanor, P. 80.
(3) Bouchet, Jean, les annals d'Aquitaine, poitiers, 1644, P. 141
Kelly, Eleanor, P. 80.
(4) Meade, Eleanor, P. 148.

تتفادى ذلك حيث قام أتباعها بحمايتها، وأسرعت جنوبا متجهة إلى مقاطعة تورين[1] Touraine. كانت مقاطعة تورين تابعة للدوق هنري دوق نورمنديا، وكانت إليانور تعتقد أنه بوصولها إلى هذه المقاطعة سوف تصبح في أمان، لكن خاب ظنها حيث كانت إليانور قد اتخذت احتياطها بعد تعرضها لعملية الاختطاف الأولى[2]، فأرسلت دليلا للتأكد من عدم وجود فرسان آخرين خططوا لاختطافها فعند اقتراب إليانور من نهر اللوار واستعدادها للعبور جاءتها أخبار تفيد أن جيفري بلانتجنت الأخ الأصغر لهنري دوق نورمنديا والذي لا يتجاوز عمره السابعة عشر، قد أعد كمينا لاختطافها، عندئذ غيرت إليانور طريقها واستطاعت الانعطاف حول جيفري وعبرت أخيرا النهر متجهة إلى بواتييه مستخدمة الطريق الآخر[3].

وبرغم نجاح إليانور في خداع كل الفرسان الطموحين الذين خططوا لاختطافها لكنها شعرت بالفخر والغرور لأنها أصبحت لعبة جميلة لكل فارس عاطل رغم أنها لم تعد الشابة المرحة، ورغم ما قيل عن سلوكها المشين، وصلت إليانور بعد عيد الفصح قلعة مابيرجون حيث بدأت حياتها الجديدة فاجتمعت عائلتها من جديد واستدعت إليانور الكتاب لكتابة الرسائل والدساتير، وأرسلت ملاحظاتها إلى أتباعها تخبرهم عن طلاقها وتطلب منهم إعادة الولاء والقسم بإخلاص إلى كونتيسة بواتييه ودوقة أكوتين، كما جددت المنح والامتيازات لرؤساء الأديرة المختلفة.

كان الاهتمام الأول لإليانور بعد عودتها، هو تخليص أكوتين من قبضة الفرنجة من آل كابيه، فعلى الرغم من مغادرة المواطنين التابعين للويس المدينة إلا أنها رأت أن ذلك ليس كافيا ولذلك أعلنت فور وصولها ضرورة إلغاء كل قرار اتخذته إليانور مشاركة مع لويس أو اتخذه لويس بمفرده[4].

يتضح لنا مما سبق الصعوبات التي تعرض لها كل من الملك لويس وزوجته إليانور خلال عودتهما إلى فرنسا والزيارة التي قاما بها إلى روما للاستماع إلى نصيحة البابا في مسألة قرابة الرحم التي ادعتها إليانور وبنت عليها طلبها والجهود التي بذلها البابا للتوفيق بين الزوجين والإصلاح بينهما كما تبين لنا الأوضاع في فرنسا بعد عودة الملك لويس والملكة إليانور إليها واستمرار توتر العلاقة بينهما خاصة بعد فشل إليانور في إنجاب الوريث الذكر للمرة الثانية مما جعل مستشاري لويس ينصحونه بضرورة تطليقها واستجابة الملك لرغبتهم ثم الأحداث والنتائج التي ترتبت على هذا الطلاق والتي كان من أهمها انسحاب قوات الملك لويس من الأراضي التابعة لإليانور ثم عودة إليانور إليها.

---

(1) تورين مقاطعة فرنسية تشغل إقليما قديما يشغل جزءا من إقليم آندر آت – لوار Inder – et – Loire عاصمتها مدينة تورز، يصب فيها نهر اللوار. انظر:
Moore, W.G., op.cit. P. 791.

(2) Salmon, A., Ed. Recueil des chroniques de touraine ed, (tours, 1874) P. 135, Kelly, Eleanor, P. 80.
Meade, Eleanor, P. 148, Owen, Eleanor, P. 31.

(3) Salmon, Chroniques, P. 135, Kelly, Eleanor, P. 80.

(4) Meade, Elanor, P. 149.